

الخطبة المبرورة

النار في الدنيا

مَنْ قَوْلُ مَنْ التَّجِيلِ الصَّوْتِ لِلْبَيْتِ الْكُتُورِ
صَاحِبِ بَرْعِ اللَّهِ بِزُجْجِ الْعُصِيِّ
غَفَرَ اللَّهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِأَسْرِهِ وَلِأُمِّهِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الخطبة الأولى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ جَلَّ فِي عُلَاهُ، وَنَسْأَلُهُ تَوْفِيقَهُ وَرِضَاهُ، وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً عَبْدٌ مُؤْمِنٌ بِهِ مِنَ الْمُؤَحِّدِينَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمَبْعُوثُ إِلَى النَّاسِ أَجْمَعِينَ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ صَلَاةً طَيِّبَةً دَائِمَةً إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ؛ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ التَّقْوَى، وَتَمَسَّكُوا مِنْ دِينِكُمْ بِعُرْوَتِهِ الْوُثْقَى، وَالزَّمُوا جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنَّ يَدَ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل

عمران].

وَاعْلَمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بَثٌّ فِي مَلَكُوتِهِ مَا يُوقِظُ الْغَافِلِينَ، وَيُنَبِّهُ النَّائِمِينَ، وَيُعَلِّمُ الْجَاهِلِينَ؛ فَيَرُدُّ الْخَلْقَ إِلَيْهِ.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ

لَا يَكُنْ لِأَوَّلِي الْأَلْبَبِ ﴿١٩٠﴾ [آل عمران].

ومن جملة ما يندرج في خلق السموات والأرض، واختلاف الليل والنهار: ما يجده الناس هذه الأيام من مس الشتاء؛ فإن اشتداد البرد، وتغير الأحوال، يُنبه الناس إلى حال جديدة لم يكونوا عليها من وقت قريب، وفي هذه الحال إيقاظ أيما إيقاظ لمن وعى مدرك الشريعة فيها.

فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اشتكت النار إلى ربها، فقالت: يا رب، أكل بعضي بعضاً!» أي لشدة حرها وقوة لهبها؛ «فجعل لها نفسين: نفس في الشتاء، ونفس في الصيف؛ فشدة ما تجدون من البرد من زمهريرها، وشدة ما تجدون من الحر من سؤمها»^(١).

فباشتداد البرد يتذكر العبد ما أخبر به الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم أن شدة الزمهرير هي نفس النار في الشتاء؛ تلك الدار التي أعدها الله سبحانه وتعالى داراً للعذاب الأليم، وأخبر سبحانه وتعالى بأنها دار الخزي؛ فقال تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَيْتَهُ﴾ [آل عمران: ١٩٢].

وأخبر سبحانه وتعالى أن مدار الفوز على الإبعاد عنها؛ فقال سبحانه:

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٣١٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وأصله عند البخاري (٣٢٦٠)

﴿فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

وإنَّما أُذِنَ لِلنَّارِ بِالنَّفْسَيْنِ؛ لِيَتَذَكَّرَ النَّاسُ النَّارَ فَيَتَّقُوهَا؛ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ أَمَرَنَا بِأَنْ نَتَّقِيَهَا؛ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُودًا أَنْفُسُهُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم].

فِبَاشْتِدَادِ الْبَرْدِ تَذَكَّرُوا النَّارَ الَّتِي أُمِرْتُمْ بِاتَّقَائِهَا، وَأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعَدَّهَا دَارًا لِمَنْ عَصَاهُ، وَأَنَّ شِدَّةَ الْبَرْدِ هُوَ زَمْهَرِيرُ جَهَنَّمَ، الَّذِي يُذَكِّرُنَا اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِهِ لِنَتَّقِيَ تِلْكَ النَّارَ؛ فَإِنَّ ذَهَابَنَا مَعَ هَذِهِ الدُّنْيَا، وَانْشَغَالَنَا بِأَحْوَالِهَا، يُصِيبُ قُلُوبَنَا بِغَفْلَةٍ عَنِ تِلْكَ الدَّارِ؛ فَيُذَكِّرُنَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِشِدَّةِ الْبَرْدِ، أَنَّ هَذَا الْبَرْدَ الشَّدِيدَ الَّذِي نَجِدُهُ هُوَ مِنْ نَفْسِ النَّارِ الَّتِي هِيَ دَارُ الْعَذَابِ.

وَكَمَا يَجْتَهِدُ أَحَدُنَا فِي اتِّقَاءِ هَذَا الْبَرْدِ فِي دَارِ الدُّنْيَا بِتَكْثِيرِ لِبَاسِهِ، وَتَحْسِينِ طَعَامِهِ، وَطُولِ الْإِقَامَةِ فِي دَارِهِ = فَيَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي وَقَايَةِ نَفْسِهِ مِنْ ذَلِكَ الْعَذَابِ الْعَظِيمِ، وَالْخِزْيِ الْأَلِيمِ الَّذِي يَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

فَإِنَّ بَرْدَ الدُّنْيَا يَنْقَطِعُ، وَإِنَّ بَرْدَ النَّارِ فِي الْآخِرَةِ لَا يَنْقَطِعُ.

وَإِنَّ الْأَلَمَ الَّذِي نَجِدُهُ مِنَ الشَّتَاءِ فِي الدُّنْيَا إِلَى زَوَالٍ، وَأَمَّا أَلَمُ النَّارِ لِمَنْ

يدخلها فإنه باقٍ لا يكون إلى زوالٍ.

وإنَّ الدُّنْيَا دارٌ فانيةٌ، وإنَّ دارَ الجزاءِ - ومنها: النَّارُ - دارٌ باقيةٌ؛ فاتَّقُوا أَيُّهَا

المؤمنون النَّارَ، اتَّقُوا النَّارَ، اتَّقُوا النَّارَ.

أقولُ ما تسمعونَ، وأستغفر اللهَ العليَّ العظيمَ لي ولكم؛ فاستغفروهُ إِنَّهُ

هو الغفور الرَّحيمُ.



الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً حمداً، والشُّكر له توالياً وتترا، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صَلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه، وسلَّم تسليماً مزيداً.

أما بعدُ:

أيُّها المؤمنون؛ إِنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَمَّا أَظْهَرَ لَنَا فِي الشِّتَاءِ آيَةً تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ، وَأَمَرَنَا بِاتَّقَائِهَا فَقَالَ: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ﴾ [البقرة: ٢٤]، وقال: ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التَّحْرِيم: ٦] = يَسَّرَ فِي سُبُلِ الشَّرِيعَةِ الطُّرُقَ الْمُؤَدِّيَّةَ إِلَى اتَّقَاءِ النَّارِ.

ومن جملة ذلك: ما أَخْبَرَ عَنْهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِهِ: «اتَّقُوا النَّارَ؛ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»^(٢)؛ أي ولو لم يُقَدَّرْ لِلْمَرْءِ إِلَّا أَنْ يَتَصَدَّقَ بِنِصْفِ تَمْرَةٍ، يَشُقُّهَا شِقَّتَيْنِ، فَيُخْرِجُ أَحَدَهُمَا صَدَقَةً لِلَّهِ؛ فَيَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي وَقَايَةِ نَفْسِهِ مِنَ النَّارِ بِذَلِكَ الشَّقِّ الَّذِي يَتَصَدَّقُ بِهِ.

(٢) أخرجه البخاري (١٤١٧، ٦٠٢٣، ٦٥٦٣، ٧٥١٢) ومسلم (١٠١٦)، من حديث عدي بن

وأخبرنا الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: أَنَّ مِنْ دَعَاءِ الْمُؤْمِنِينَ: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا

حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١].

وأخبرنا النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: أَنَّ مَنْ اسْتَجَارَ مِنَ النَّارِ ثَلَاثًا أَجَارَهُ اللَّهُ

عَزَّوَجَلَّ مِنْهَا ^(٣)؛ بَأَنْ يَقُولَ الْعَبْدُ دَاعِيًا: «اللَّهُمَّ أَجِرْنِي مِنَ النَّارِ، اللَّهُمَّ أَجِرْنِي مِنَ النَّارِ، اللَّهُمَّ أَجِرْنِي مِنَ النَّارِ».

فينبغي لأحدنا ألا يغفلَ عن تَطَلُّبِ السُّبُلِ الْمُؤَدِّيَةِ إِلَى وَقَايَتِهِ مِنَ النَّارِ، وَخَاصَّةً فِي أَيَّامِ تَذْكِيرِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ بِهَا؛ كاشتداد البرد في الشتاء، فيبذل من نفسه من تلك السُّبُلِ ما يكون له وَقَايَةً مِنَ النَّارِ؛ مِنْ صَدَقَةٍ، أَوْ دُعَاءٍ، أَوْ ذِكْرٍ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا جَاءَ مُبَيَّنًّا فِي دِيْوَانِ الشَّرِيعَةِ.

فَاتَّقُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ النَّارَ، وَاتَّخِذُوا مِنْ سُبُلِ الْوَقَايَةِ مِنْهَا مَا تَقْدِرُونَ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ يُذَكِّرُكُمْ بِهَا لِتَتَّقُوهَا وَتَحْذَرُوهَا.

اللَّهُمَّ أَجِرْنَا مِنَ النَّارِ، اللَّهُمَّ أَجِرْنَا مِنَ النَّارِ، اللَّهُمَّ أَجِرْنَا مِنَ النَّارِ.

رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْإِيمَانَ، وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا، وَكُرِّهِ إِلَيْنَا الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ، وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الرَّاشِدِينَ.

(٣) أخرجه الترمذي (٢٥٧٢) وابن ماجه (٤٣٤٠)، من حديث أنس بن مالك **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

اللَّهُمَّ آتِ نفوسنا تقواها، وزكِّها أنتَ خيرُ مَنْ زكَّاهَا، أنتَ وَلِيُّها ومولاها.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الهدى، والتُّقى، والعِفافَ، والغِنى.

اللَّهُمَّ فَرِّجْ كُرْبَ المكروبين، ونَفْسَ هموم المهمومين، واقْضِ الدَّينَ عن

المَدِينين، واشْفِ مَرَضنا ومَرَضانا ومَرَضى المسلمين.

